

التحليل النفسي لشخصية ابن عربى فى رواية "موت صغير" بناءً على هرم ماسلو للاحتياجات

مهدى يارى*

سيد مهدى نورى كيدقانى (الكاتب المسؤول)**

مهدى خرمى سرحوشكى***

حسين شمس آبادى****

عباس كنجعلى*****

الملخص

النقد النفسي هو أحد الأساليب الحديثة في النقد الأدبي الذي يساعد في فهم الأعمال من حيث تحليل الشخصيات. يرى أبraham ماسلو، عالم النفس الإنساني الأمريكي، أن الإنسان بفطرته يحتاج إلى النمو، وللوصول إلى هذا النمو، يجب أن يلبي خمسة أنواع من الاحتياجات: الاحتياجات الفسيولوجية والاحتياجات الأمنية والاحتياجات الاجتماعية والاحتياجات التقديرية والاحتياجات تحقيق الذات. النقطة المهمة فيما يتعلق بتلبية هذه الاحتياجات هي أنه يجب أولًا تلبية احتياجات المستويات الدنيا حتى يتمكن الإنسان من الوصول إلى المستويات العليا ومرحلة تحقيق الذات. تعتمد الدراسة الحالية على هذه النظرية، وباستخدام المنهج الوصفي التحليلي، تبحث في كيفية تحقيق الشخصية الرئيسية في رواية "موت صغير" لـ محمد حسن علوان، لذاتها. تتناول هذه الرواية شخصية وحياة ابن عربى، العارف الإسلامى الشهير. يمكن ملاحظة العديد من العقبات في هذه الرواية التي تواجه مساره مساره ابن عربى، ولكنه يسعى بجدية لتجاوز هذه العقبات. تظهر نتائج البحث أن عملية تحقيق الذات لابن عربى تتناسب مع المعاير التي طرحتها ماسلو لتحقيق الذات. إن وجود معاير مثل مقاومة الانصهار التلقائى والانزعال والتزييز على حل المشكلات في شخصية الرواية الرئيسية هي من أبرز مكونات تحقيق الذات لديه. يسعى ابن عربى جاهدًا للوصول إلى احتياجات المستويين الرابع والخامس من الهرم، وفي هذا المسار، ومع مقاومته للتفاقة السائدة، يصل إلى مرحلة تحقيق الذات بتطهير قلبه من الرذائل. الكلمات الدليلية: حاجة، تحقيق الذات، موت صغير، ابن عربى، أبraham ماسلو.

*. طالب في مرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
**. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
sm.nori@hsu.ac.ir

***. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
****. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
*****. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللاهوت، جامعة حكيم سبزوارى، سبزوار، إيران
تاریخ القبول: ٢٩/٦/١٤٤٧ هـ تاریخ الاستلام: ٢٩/٣/١٤٤٧ هـ

المقدمة

النقد النفسي هو أحد التوجهات الحديثة في النقد الأدبي التي تساعد الباحث على فهم الجوانب النفسية لشخصيات القصة وشخصية الكاتب. باستخدام مناهج وأصول علم النفس، يمكننا دراسة خصائص الشخصيات الموجودة في القصة.

الشخصية الرئيسية في القصة هي العمود الفقري لأى قصة أو رواية وتلعب دوراً محورياً في تقدم السرد وجذب الجمهور. هذه الشخصية ليست مجرد ممثل للمؤلف للتعبير عن مفاهيم ومواضيعات القصة، ولكنها أيضاً جسر للقارئ للتواصل مع العالم الذي أنشأه المؤلف. يسعى القارئ إلى فهم القصة من خلال فهم الشخصيات. الشخصية الرئيسية في القصة أسهل في الفهم من الشخصيات الأخرى. «يسعى القارئ إلى فهم الشخصيات بعمق، والشخصية الرئيسية، بسبب حضورها البارز، توفر أكبر فرصة لهذا الفهم.» (ميرصادى ومهاجر، ٢٠١١: ٨٧) نظراً لتوفر المزيد من المعلومات حول الشخصية الرئيسية في القصة، يمكن دراستها بشكل أفضل.

سعى أبراهم ماسلو، عالم النفس الأمريكي، إلى دراسة طرق النمو ووصول الإنسان إلى النجاح. اشتهر ماسلو في العالم بنظريته في تدرج الاحتياجات المعروفة بهرم ماسلو. وفقاً لهذه النظرية، يمتلك البشر خمس فئات مختلفة من الاحتياجات، وأعلى هذه الاحتياجات هو الحاجة إلى تحقيق الذات. هذه الحاجة خاصة بالإنسان، وكل إنسان يسلك طريقه الخاص لتحقيق الذات. يستغرق تحقيق هذه الحاجة وقتاً أطول مقارنة بالاحتياجات الأخرى، وبإشباعها يشعر الإنسان براحة ورضا أكبر. وبتحقيق الذات، يصبح الإنسان شخصية فريدة، وبهذه الطريقة يتميز عن الآخرين.

نظراً لأن ابن عربى، المعروف بالشيخ الأكابر، هو من أهم الشخصيات الصوفية في العالم الإسلامي، ونظرية هرم ماسلو تعتبر نظرية بارزة في تناول شخصية الإنسان وتحقيق الذات لديه، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الشخصية الرئيسية في رواية "موت صغير" بناءً على النظرية المذكورة أعلاه، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي بناءً على الطريقة الاستقرائية غير المكتملة، للإجابة على الأسئلة.

أسئلة البحث

١. بناءً على هرم ماسلو للاحتياجات، كيف تصل الشخصية الرئيسية في الرواية المذكورة إلى تحقيق الذات، وما هي المراحل التي تمر بها؟
٢. وفقاً لنظرية ماسلو، ما هي مكونات تحقيق الذات الأكثر بروزاً في الشخصية الرئيسية لهذه الرواية؟

فرضيات البحث

من خلال دراسة رواية "موت صغير"، يبدو أن ابن عربى يصل إلى تحقيق الذات من خلال تلبية الاحتياجات الأساسية (الفيسيولوجية والأمنية والاجتماعية والتقدير). على الرغم من أنه في بعض مراحل حياته، واجه صعوبات في تلبية بعض هذه الاحتياجات. يبدو أن ابن عربى، كشخصية متحفظة لذاتها، قد أبرز مقاومة الانصهار الثقافى والانعزال وال الحاجة إلى الخلوة والتركيز على حل المشكلات، أكثر من أي مكونات أخرى لتحقيق الذات.

خلفية البحث

من بين الدراسات التي أجريت حول رواية "موت صغير" يمكن الإشارة إلى ما يلى: يونس قربى فى مقاله "الشخصية وبناء الشخصيات فى رواية موت صغير" لحمد حسن علوان" (١٣٩٩ش / ٢٠٢٠م)، يسعى لتحديد أنواع الشخصيات الثابتة والдинاميكية وغيرها فى رواية موت صغير. وخلص كاتب المقال إلى أن علوان استخدم مجموعة متنوعة من الشخصيات النمطية والنموذجية والثانوية والرئيسية وما إلى ذلك، وقدمها بطرق مختلفة.

مسعود باوانبورى، مهين حاجزاده و خليل پروينى فى مقال "الاتصال غير اللفظى فى رواية موت صغير" لحمد حسن علوان دراسة سيميولوجية" (١٤٤٢ق)، يحاولون دراسة هذه الرواية من حيث الاتصالات غير اللفظية مثل تعابير العين، وحركات الرأس، واليد، إلخ. تشير نتائج المقال إلى أن علوان استخدم الإشارات فى روايته لتحديد أو توزيع الفراغات فيها. وقد استخدم الكاتب مراراً وتكراراً الأساليب التالية للتغيير عن رسالته غير اللفظية حسب ترتيب وفرتها: حركات الرأس، واليد، والوجه،

والعين، والسلوكيات الصوتية، والحركات الممسية والإيمائية، وحركات الجسم. وقد استُخدمت هذه الحركات للتعبير عن حالات مثل الغضب، والخوف، والقلق، والضيق، وغيرها. بالإضافة إلى ذلك، تُستخدم وسائل وأجهزة أخرى في نقل رسائل الكاتب. ولأغلب هذه الرسائل وظيفة بديلة.

على أسودى وزهرا إيزدى، فى مقال "دراسة نموذج المحاكم الأولى فى رواية موت صغير بناءً على نظرية بيرسون-كيمار" (١٤٠٠ش / ٢٠٢١م)، يبحثون فى التشابه بين نموذج "المحاكم" الأولى لبيرسون-كيمار ونظرية الإنسان الكامل لابن عربى. وتشير نتائج الدراسة، فى ضوء آراء ابن عربى، إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين النموذج السائد ونظرية ابن عربى فى الإنسان الكامل بين النماذج الائتى عشر لنظرية بيرسون-كيمار؛ بحيث يظهر البطل بعد مروره براحل الانطلاق والبدء والعودة خصائص النموذج السائد، وهى قريبة إلى حد ما من خصائص الإنسان الكامل عند ابن عربى، وكلاهما يحملان إلى حد ما معايير تحقيق الذات للشخصية.

طاهره حيدرى، فى مقال "دراسة شخصية ابن عربى فى رواية موت صغير لحمد حسن علوان بناءً على نموذج الأنميما الأولى" (١٤٠٠ش / ٢٠٢١م)، تدرس تحليات نموذج الأنميما (الجانب الأنثوى فى وجود الرجل) فى هذه الرواية. وفقاً لنتائج هذه الدراسة، كان للروح تأثيرٌ بالغٌ فى بناء أحداث القصة ووقاءها، وأوجدت مساحاتٍ من الصراع بين الشخصيات. وتشير النتائج إلى أن الجوانب الإيجابية للروح تجلّت فى صورة حبيب، ومرشد، ومرشدة، وما إلى ذلك.

محمدهادى مرادى وهادى عزيزى فى مقال "تحليل رواية موت صغير على أساس المنهج النفسي (نظريات فرويد ولاكان نموذجاً)" (٢٠٢٢م)، وبناءً على نظريات فرويد ولاكان، يقدمان ابن عربى كشخصية ماسوشية تعود جذور هذه الماسوشية إلى سلوك والد ابن عربى تجاهه، وأنه كان يسعى وراء المتعة، على الرغم من أنه بتوجيهات معلمته، تخلى عن الكثير من هذه المتع ليصل إلى مكانة قطب الصوفية. وبحسب مؤلفى المقال فإن رواية موت صغير تحكى محاولة ابن عربى الهروب من ماضيه وتحقيق السلام. طاهره حيدرى فى مقال "توظيف التاريخ فى رواية موت صغير لحمد حسن علوان"

(ربيع وصيف ٢٠٢٣م) تتحدث عن كيفية استخدام التاريخ فى هذه الرواية وتخلاص إلى أن علوان يستخدم التاريخ كإطار لكتابة الرواية، وهذا الاستخدام للتاريخ يجذب القارئ إلى الرواية.

سهلاً كاظم عليلو فى رسالتة الماجستير "دراسة وتحليل عناصر القصة فى رواية موت صغير لحمد حسن علوان" ، تسعى لتناول نوع القصة وطريقة سردها، وتوضح العناصر الأساسية للقصة وهى: الشخصية والراوى والموضوع والفعل والفكرة الرئيسية والزمان والمكان والأسلوب وزاوية الرؤية وحبكة القصة والرمز فيها.

بالنظر إلى ما سبق، يمكن فهم أن هذه الرواية لم تُدرس حتى الآن بناءً على نظرية هرم ماسلو، ولذا فإن البحث الحالى يعد جديداً من هذه الناحية.

ضرورة البحث وأهميته

تعتبر نظرية ماسلو من النظريات البارزة المستخدمة فى علم النفس. تتناول هذه النظرية مفهوماً مهماً فى حياة الإنسان وهو النمو. هذه النظرية ذات فائدة كبيرة فى تحليل شخصيات القصة، خاصة الشخصية الرئيسية؛ لأن الكاتب يقدم لنا تفاصيل أكثر عن الشخصية الرئيسية. موضوع رواية "موت صغير" هو حياة شخصية معروفة فى العرفان النظري، والتى كانت أفكارها وأعمالها محط اهتمام العلماء من الشرق والغرب لسنوات عديدة. هذه الشخصية تتمتع بنمو كبير جداً، مما جعلها تصل إلى هذه المكانة. لذا، تسعى هذه المقالة إلى دراسة عملية نمو هذه الشخصية العظيمة ضمن الإطار النظري لهرم ماسلو للاحتياجات والإجابة على الأسئلة المطروحة.

هيكل المقالة

فى علم النفس، توجد مقاربات ومدارس مختلفة مثل الجشطالت والتحليل النفسي والسلوكية والمعرفية وإلخ. إحدى هذه المدارس هي المقاربة الإنسانية وهى المقاربة التى تعطى أهمية خاصة للإرادة والحرية الإنسانية وتومن بأن الإنسان يستطيع تحقيق النمو من خلال الوعى الذاتى. فى هذه المدرسة، «يُكىن للإنسان أن يؤثر على مصيره أو حتى يتحكم فيه». (كنجى، ١٣٩١: ١٠) تؤكد هذه المقاربة على حرية الإنسان فى

اختيار مصيره. من أهم وأشهر الشخصيات في هذه المدرسة هو أبراهم ماسلو. «كان يسعى لاكتشاف ما يحفز السلوك البشري.» (رايكمان، ١٣٩٦: ٤٤٦) يعتقد ماسلو أن الإنسان، لكي يصل إلى النمو والكمال، يجب أن يلبى خمسة أنواع من الاحتياجات. هذه الاحتياجات الخمسة هي: ١- الاحتياجات الفسيولوجية، ٢- الاحتياجات الأمنية، ٣- الاحتياجات الاجتماعية، ٤- احتياجات التقدير، ٥- احتياجات تحقيق الذات. النقطة المهمة فيما يتعلق بالوصول إلى النمو هي أنه يجب تلبية احتياجات المستويات الدنيا، مثل الاحتياجات الفسيولوجية والأمنية، إلخ، حتى تظهر الاحتياجات التالية. على سبيل المثال، يجب أولاً تلبية حاجة الإنسان إلى الطعام والماء، إلخ (الاحتياجات الفسيولوجية) حتى يأتي دور الاحتياجات التالية مثل الأمان، إلخ. بعبارة أخرى، تلبية كل حاجة تدفع الإنسان نحو الحاجة التالية. على الرغم من أن ماسلو يؤكد أنه في بعض الأحيان، ولأسباب تحفيزية، يمكن للشخص أن يفضل احتياجات المستويات العليا على احتياجات المستويات الدنيا؛ على سبيل المثال، قد يتنازل عن سلامته من أجل الحب؛ (فيست وفيست، ١٣٩٠: ٥٩١) ولكن بشكل عام، فإن السبيل إلى تحقيق الذات هو تلبية الاحتياجات الدنيا. يمكن للإنسان أن يقدم شخصيته الفريدة عندما يكون قد حقق ذاته. تحقيق الذات يساعد الإنسان على إيجاد هويته وشخصيته؛ هوية وشخصية تيّزه عن الآخرين.

تعريف مؤلف الرواية وملخص القصة

محمد حسن علوان (ولد في ٢٧ أغسطس ١٩٧٩م) روائي سعودي. ولد في الرياض ودرس نظم المعلومات الإدارية في جامعة الملك سعود. ثم تابع دراسته في إدارة الأعمال (MBA) في جامعة بورتلاند وحصل على الدكتوراه من جامعة كارلتون عام ٢٠١٦م. في عام ٢٠١٣م، ترشح لجائزة البوكر العربية عن روايته "القدس" وفي عام ٢٠١٧م فاز بالجائزة عن روايته "موت صغير". هذه الرواية جلبت له شهرة واسعة. تقدم هذه الرواية قصتين بشكل منفصل. القصة الأولى هي قصة حياة ابن عربى من طفولته حتى وفاته، والقصة الثانية تتناول تداول سيرته الذاتية في فترات مختلفة. في

هذه المقالة، سيتم التركيز على القصة الأولى.

تبدأ الرواية بأسلوب فني وعلى لسان ابن عربي نفسه. كما تقرأ في الصفحات الأولى: «أعطاني الله بربخين: بربخ قبل ولادتي وآخر بعد مماتي. في الأول رأيت أمي وهي تلدنى وفي الثاني رأيت ابني وهو يدفنتى. رأيت أبي يضحك مستبشرا بيكره الذكر وزوجته تبكي مفجوعة في زوجها المسن.» (علوان، ٢٠١٦: ٢٠١٣)

بناءً على هذه الرواية، ولد ابن عربي في مرسيه. كان والده على مقرباً من حاكم مرسيه، محمد بن سعد بن مردنيش. قام ابن عربي بالعديد من الرحلات خلال حياته. كان يبحث عن أوتاده الأربع ليقطع مسار السعادة. انتقل أولاً من مرسيه إلى إشبيلية وكرس نفسه للدراسة. في نفس الوقت، بدأ العمل في البلاط الملكي وتفاعل مع شخصيات علمية في ذلك الوقت مثل ابن رشد. تزوج ابن عربي من فتاة تدعى مريم بنت عبدون وأنجب منها ابنة اسمها زينب. بعد جهود مضنية، وصل ابن عربي إلى وتد الأول، يوسف الكومي. شجّعه هذا الوتد على البحث عن الأوتاد الأخرى. بعد رحلات عديدة، أدرك أن وتد الثاني قد توفي وأن أحد أصدقائه القدامي قد حل محله. الوجهة التالية للعثور على الوتد كانت مكة. في هذه المدينة، وبعد العديد من التقلبات الروحية، وقع ابن عربي في حب نظام، ابنة الشيخ زاهر الأصفهاني. خلال هذه المعرفة، وقعت له أحداث مريمة؛ فقد ابنته وتركته زوجته، وبعد فترة توفيت. لم يؤدّ حب ابن عربي لنظام بالزواج، وبقي فاشلاً في هذا المسعى. خلال الأحداث اللاحقة للقصة، أدرك ابن عربي أن سبب معارضة نظام لهذا الزواج هو أنها وتدة الثالثة. كانت ثرة إقامته في مكة هي تأليف كتاب "الفتوحات المكية". واصل ابن عربي البحث عن وتدة الرابع حتى وجده في ملطية. إن وتدة الرابع لم يكن سوى شمس تبريزى. بعد أن وجد الأوتاد الأربع، وصل إلى مقام قطب الصوفية. مع مرور الوقت، وبسبب آرائه، تعرض لغضب العلماء، واخضط للعمل كبستانى، واستمر في كسب رزقه بهذه الطريقة حتى وفاته. بالطبع، تروى أحداث القصة بأسلوب فني للغاية وباستخدام تقنيات سرد حديثة مختلفة مثل الفلاش باك وتيار الوعي وما إلى ذلك، وكما ذكر في البداية، تروى في الواقع قصتان من الماضي والحاضر الحديث في رواية واحدة.

تحليل ومراجعة بيانات الرواية بناءً على احتياجات ماسلو

في هذا القسم، سنقوم بتحليل ومقارنة الاحتياجات الخمسة هرم ماسلو مع مسار تشكيل شخصية ابن عربى. يبدأ مسار ابن عربى في النمو وتحقيق الذات من الحاجة الأساسية (الفسيولوجية) ويصل إلى مرحلة تحقيق الذات.

الاحتياجات الفسيولوجية

أول مستوى من الاحتياجات في هرم ماسلو هو الاحتياجات الأساسية والفسيولوجية. يجب على الإنسان أن يلبى احتياجاته الفسيولوجية للبقاء. إذا لم تلب هذه الاحتياجات، فسيظل الشخص منخرطاً فيها دائماً، وسيحرم من فرصة الوصول إلى مستويات أعلى من الهرم. بمعنى آخر، تُعتبر هذه الاحتياجات بثابة العمود الفقري هرم الاحتياجات، وهي ذات أهمية بالغة. «تشمل هذه الاحتياجات: الحاجة إلى الهواء والطعام والماء والمأوى والاحتياجات الجنسية والنوم.» (سيف، ١٣٩٠: ٢٣٤)

من ناحية أخرى، في العرفان والتصوف، يظهر إهمال أو قلة الاهتمام بالاحتياجات الجسدية والمادية بشكل بارز، ويشار إليها أحياناً بالرياضة. من منظور الصوفية، «الرياضة هي جهد للانفصال عن الحياة الحيوانية والاتصال بالحياة الروحانية الطيبة، وهي أساس السلوك.» (يشربي، ١٣٩٧: ٨٢). مع هذا الافتراض المسبق، من المتوقع أن تكون حياة الشخصية الرئيسية في رواية "موت صغير" قائمة بالكامل على هذه الرياضة وإجهاد الجسد؛ ومع ذلك، فإنه لا يرى نفسه بعيداً عن هذه الاحتياجات؛ بل في أجزاء مختلفة من هذه الرواية، يشار إلى الاحتياجات الفسيولوجية وطرق تلبيتها. «إذا سهرت لأشهد مطالع الأنوار الإلهية ضيغت على ذلك حشية الصوف بالنوم، وإذا لزمت الصمت لأسمع حفيظ الأسرار القدسية قرقرت بطنى.» (علوان، ٢٠١٦: ٨)

بالطبع، من الواضح في هذه المرحلة أن ابن عربى يشكو من الحجاب الذي تسببه له هذه الاحتياجات، ويعتبرها مانعاً لسلوكه؛ لأنه في التصوف «بالرياضة يمكن تجاوز المنازل والمقامات، والسلوك يتأثر بـ 'الأمن والراحة'، ويكتمل بتحمل المشقات والبلاء.» (يشربي، ١٣٩٧: ٨٢)

فى مكان آخر، يشار إلى هذه الاحتياجات بشكل غير مباشر. بعد أن يكتشف الخليفة أن ابن عربى قد تزوج، يقرأ مازحاً من كتاب أسماء الأطعمة التى تزيد الرغبة الجنسية، ثم يأمر بطهوى مثل هذه الأطعمة لابن عربى. «يا حاجب! قل للطاهى يجعل فى عشائنا من كل ما سمعت ما كان موجوداً، فياكل ابن عربى ما يزيده وياكل أنا ما ينقصنى.» (علوان، ٢٠١٦: ٢٠٦)

لذلك، فى الرواية المذكورة، لم يتم تجاهل الاحتياجات الفسيولوجية بالكامل؛ بل إن سير الأحداث يسير بطريقة طبيعية حيث تبدأ الشخصية الرئيسية فى تلبيتها تدريجياً لتقليلها والتقدم نحو الكمال المنشود والسمو. فى التعاليم العرفانية الإسلامية الصحيحة أيضاً، أشير إلى أهمية هذه الاحتياجات. تلبية هذه الاحتياجات توفر الأساس للتطور الروحى والمعنوى للشخص وعدم الاهتمام بهذه الاحتياجات أو الاهتمام بها قليلاً يؤدى إلى الكفر والانحراف عن الصراط المستقيم. هذه النقطة المهمة هي نقطة التناقض بين الإسلام والصوفية الخاطئة غير الإسلامية أو المنسوبة إلى الإسلام. يمكن رؤية هذا التناقض فى معارضه الإسلام للرهبانية المبتدعة على طريقة النصارى وترك الزواج. وقد نهيت هذه الرهبانية فى الأحاديث: «لا رهبانية فى الإسلام.» (ابن حيون، ١٣٨٥ هـ-ق، ج ٢: ١٩٣)، وعن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ذم الفقر والعوز الذى يؤدى إلى عدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية، نقل: «كاد الفقر أن يكون كفراً.» (الكلينى، ١٣٧٥، ج ٢، ٣٠٧)

الاحتياجات الأمنية

بعد تلبية الاحتياجات الفسيولوجية، يأتى دور الاحتياجات الأمنية. يشمل هذا الأمن الحياة والوظيفة والأمن المالى والاستقرار والقدرة على التنبؤ. يحتاج البشر إلى التخطيط فى حياتهم ووجود الأمان فى هذه المجالات بشكل أساساً للتخطيط. «كلما تقدمنا نحو المستوى الثانى من هرم ماسلو، أصبحت الاحتياجات أكثر تعقيداً قليلاً.» (شولتز، ١٣٨٩: ٣٤٨) يحتاج الشخص فى هذه المرحلة إلى «الأمن والاستقرار والانتماء والدعم والوظيفة والعائلة والممتلكات والصحة والسلامة الجسدية، إلخ.»

(مسلسل، ١٣٧٢: ٧٤) يصف ابن عربى بربخه الأول بالولادة والخروج إلى الوجود ويصف انفصاله عن الرحم ودخوله العالم الجديد بأنه أمر محزن؛ ولكن أول ما يزيل هذا الحزن هو أن فاطمة بانو بنت مثنى، قابلة ابن عربى ومرشدته نحو النمو والسمو، تختضنه وتنحه شعوراً بالراحة والأمان. «وهي أيضاً اتخذتني ابناً روحاً لها مذ حطت عيناهما على وجهي وغمرتني بحنانها الجارف الذي كان عزائي الأول في فراق بربخى وزادى في ابتداء رحلتى.» (علوان، ٢٠١٦: ١٤)

ولد ابن عربى في مرسية وأقام فيها لعدة سنوات. كان حاكم هذه المدينة، محمد بن سعد بن مرديش، من حكام المرابطين. الموحدون، أعداء المرابطين، كانوا قد احتلوا أجزاء واسعة من الأندلس باستثناء مرسية. كانت مرسية محاصرة، وقد تسبب هذا الحصار في انعدام الأمن ونقص المؤن العامة، إلخ. عندما استسلمت مرسية للموحدين وسقطت المدينة في أيديهم، استتب الأمن والهدوء إلى حد ما. «دبّت الحياة في أوصال المدينة مرة أخرى ففتحت الموانئ الموصدة وانتعشت الأسواق المهجورة وعادت أصوات الباعة تملأ أسماع مرسية.» (علوان، ٢١٠٦: ٤٨)

بالطبع، تجدر الإشارة إلى أن ابن عربى في جزء من الرواية يشير إلى عدم اكترااث المتصوفة بانعدام الأمن والصعوبات التي تعرّض سبيل توفير الضروريات. عندما كان ابن عربى مقيماً في دمشق، قتلت محاصرة المدينة بأمر من "الكامل"، حاكم القدس. بعد أن يذكر ابن عربى المشاكل التي لحقت بالناس، يقول عن وضع المتصوفة: «أما الكامل فإنه فور أن أنهى تسليم القدس للفرنجة اتجه نحو دمشق ليزعمها من ابن أخيه. وحاصرنا فيها سنةً ضاق فيها المترفون بانقطاع الأنهر عن سواقها ونهب الحواصل التي في رساتيقها وغلت الأسعار غلاءً فاحشاً.» (المراجع نفسه: ٥٨٤) إن هذه العبارة تعبر عن وضع ابن عربى نفسه؛ شخصية محققة لذاتها تكتفى بأقل القليل من العيش والأمان، وقد أعدت نفسها لمواجهة الأيام الصعبة. يسعى المتصوفة بالتركيز على الأمور الروحية والابتعاد عن هموم الدنيا إلى تحقيق حاجة تحقيق الذات. بهذه الطريقة، يسعون إلى الوصول إلى الكمال الروحي. ومع ذلك، فمن البديهي أن العرفاء أيضاً يحتاجون حتماً إلى الحد الأدنى من الإمكانيات لتلبية الاحتياجات الأساسية.

الاحتياجات الاجتماعية

فى المرحلة الثالثة، يسعى الإنسان إلى تلبية الاحتياجات الاجتماعية. فى هذه المرحلة يسعى الإنسان إلى الشعور بالانتماء والصداقه؛ الشعور بالانتماء إلى مجموعة من الأصدقاء والعائلة والوالدين وما إلى ذلك. ويحاول خلق هذا الشعور فى نفسه بطريق مختلفة. بعد تلبية الاحتياجات الأمنية، «تبرز الحاجة إلى الحب والمودة فى بداية المرحلة التالية لدفع الإنسان إلى الأمام؛ وهذا السبب، تنشأ فى الإنسان رغبة شديدة فى التواصل العاطفى مع الآخرين.» (محمد، ١٩٩٨: ٤٥٧-٤٥٣)

فى هذه الرواية، يقع ابن عربى فى حب فتيات. إحداهن تُدعى "جالا"، وهى ابنة فريديريك، صديق ابن عربى المسيحي؛ (علوان، ٢٠١٦: ١٣٧) على الرغم من أن هذا الحب لا يكلل بالنجاح. الشخصية الأخرى هي مريم بنت عبدون، التى تصبح زوجته. يصف ابن عربى وجودها على النحو التالى: «أقبلت على بكل ما فى قلبها من شجر يورق للتو. أطعمنى رضا وسقتنى سلاما وأفرشتني طمانينة وراحة. ما كنت لأطيق إشبيلية لو لم تكن فيها.» (المرجع نفسه، ١٦٤) تُظهر هذه الجملة بوضوح مدى تأثير الاحتياجات الاجتماعية والعاطفية على شعور الإنسان بالرضا والسعادة. إن وجود شخص ذى قيمة فى الحياة يمكن أن يمنح الإنسان شعوراً بالأمان والانتماء والراحة، ويساعده على مواجهة تحديات الحياة بشكل أفضل. تبرز هذه الجملة أهمية العلاقات الإنسانية ودورها فى تلبية الاحتياجات الأساسية. يمكن القول إن مريم تلعب دور السند العاطفى ومصدر الإلهام لابن عربى، وتساعده على الشعور بتحسين فى مدينة إشبيلية. هذا الشعور بالانتماء يجعل إشبيلية محتملة لابن عربى ويساعده على التكيف مع العيش هناك.

لكن أهم حبٌّ خاضه ابن عربى فى حياته كان حبّه لنظام؛ ابنة الشيخ زاهر الأصفهانى التى التقى بها فى مكة. يقول ابن عربى عن مدى تعلقه بنظام: «... نظام هى أول عهدى بالنساء وأول امرأة أشعر معها باكمال الحب وانسياق العاطفة وحضور الروح وطمأنينة الموارح.» (علوان، ٢٠١٦، ٣٣٤) كان حب ابن عربى لنظام لدرجة أنه كان يرى فيها أول امرأة اختبر معها الحب الحقيقى؛ وكان النساء اللواتى سبقنها، حتى

زوجته، لم يدخلن قلبه بقدر نظام. كان ابن عربى ونظام الكثير من القواسم المشتركة فى الحديث. كانت نظام من العلماء والمتعلمات فى عصرها، وكان ابن عربى يستطيع أن يمضى ساعات معها دون أن يشعر بالتعب. كان ابن عربى يحب نظام من كل قلبه ويشعر بعشقها الملتهب فى داخله؛ لكن هذا الحب لم يتوج بالزواج؛ لأن نظام هى وتد ابن عربى الثالث، وبالتالي لا يمكنه الزواج منها.

احتياجات التقدير

احتياجات التقدير هى الفئة الرابعة من الاحتياجات التى يشير إليها ماسلو. تُلَبِّى احتياجات التقدير على شكلين: احترام الذات واحترام الآخرين. يحترم الشخص بنفس الطريقة التى يرى بها نفسه؛ كما يبدو محترماً فى عيون الآخرين. «إشباع هذه الاحتياجات يؤدى إلى احترام الإنسان لذاته واحترام الناس له؛ وفي هذه الحالة، يصبح موقعه وهويته ثابتة وينجذب نحو العمل وتحقيق النجاح.» (مبروك، ٢٠١١: ٦٣) بالطبع، «تقسم هذه الحاجة إلى فتتین فرعیتین: ١- الحاجة إلى القدرة والنجاح والمهارة والكفاءة والاستقلالية والحرية، ٢- الحاجة إلى الاعتبار والمكانة والشرف والشهرة والأهمية.» (ماسلو، ١٣٦٧: ١٥٤)

بذل ابن عربى جهوداً كبيرة فى تحصيل علوم و المعارف عصره، وأصبح من أبرز الشخصيات العلمية فى عصره. وقد أدت هذه المكانة العلمية الرفيعة إلى تتمتعه بمكانة عالية لدى حكام عصره، الذين كانوا يسعون إلى حضوره فى بلاطهم. كان معاشرة الحكام والخلفاء تعتبر من علامات الاعتبار والأهمية، وقد حظى ابن عربى بهذه الصحبة. أقام الخليفة فى إشبيلية لفترة، وقد سمع سابقاً من ابن رشد عن ابن عربى، وبعد أن علم بعمره، قال له: «لا تفارق مجلسى هذا حتى أرحل من إشبيلية.» (المراجع نفسه: ١٦١) إن احترام الحكام والوجهاء لابن عربى يساهم فى رفع مكانته الاجتماعية. على الرغم من أن ابن عربى ليس شخصية تسعى بأى ثمن لكسب احترام الحكام؛ إلا أن هذا الأمر يدفع الناس الذين يولون اهتماماً كبيراً لآراء الحكام، إلى النظر إلى ابن عربى كإنسان رفيع القدر وتقديم احترام خاص له.

بالإضافة إلى الاحترام الذى ناله ابن عربى من الحكماء والناس، كان العلماء الذين كانوا على دراية بالجوانب العلمية والعرفانية لابن عربى، يكنون له منزلة خاصة. من الأمثلة التى يمكن ذكرها، احترام العلماء لابن عربى فى مدينة فاس. يتحدث عن لقاءه بعلماء المدينة والاحترام الذى كانوا يكنون له. «وسرعان ما شعر بي الأولياء وأهل الطريق. يفدون إلى التُّرُّل ويسألون عنى فإذا لقيتهم ابتسموا وابتسمت، وعرفوا شأنى وعرفت.» (علوان، ٢٠١٦: ١٧٤) فإن العلماء الذين كانوا أهل فكر وعلم، اعترفوا بمكانة ابن عربى الرفيعة وأكملوا له احتراماً خاصاً. هذا الاحترام، الناتج عن المعرفة والفهم، ساعد ابن عربى على تلبية الحاجة الرابعة، ولم يشعر بأى نقص من حيث الاحترام والمكانة الاجتماعية.

احتياجات تحقيق الذات

تأتى هذه الاحتياجات فى أعلى الهرم فى هرم ماسلو للاحتياجات. فى هذه المرحلة، يسعى الإنسان إلى تحويل نفسه إلى شخصية قادرة على تحقيق إمكاناتها ومواهبها. من خلال تحقيق الذات بنجاح، يمكن للشخص أن يكتسب هويته وشخصيته الفريدة، ومن خلال إشباع هذه الحاجة تتحقق فردية الشخص ويكتبه تحقيق شخصيته المميزة. يرى ماسلو أن "البشر لديهم حاجة واعية لتحقيق الذات ويريدون أن يصبحوا ما يمكنهم أن يكونوا. «أهم خصائص تحقيق الذات فى نظرية ماسلو هى كالتالى: ١- فهم أفضل للواقع والتواصل معه ٢- مقاومة الانصهار الثقافى ٣- قبول الذات والآخرين والطبيعة ٤- العفوية والبساطة والطبيعة ٥- جودة الانعزال وال الحاجة إلى الخلوة ٦- الإبداع والابتكار ٧- التركيز على حل المشكلات.» (ماسلو، ١٣٦٩: ٢٢٨-٢١٦) يرى ابن عربى أن معرفة الله والوصول إليه هو أساس تحقيق الذات. «يدرك الإنسان الكامل معرفة الكنز الخفى؛ المعرفة التى هي غاية الله من خلق العالم.» (شيتىك، ١٣٩٣: ٩٨) فى هذا الجزء، سنتناول هذه الخصائص.

فهم أفضل للواقع والتواصل معه

يسعى محققو الذات إلى قبول الواقع كما هو، لا كما يرغبونه. بمعنى آخر، لا يكتفون

بالمعنى، ولا يريدون فرض رغباتهم على الواقع الموضوعي. يصاب ابن عربي أحياناً بالإحباط في بحثه عن الأوتاد، ويحزن لأنه لا يستطيع العثور على وتد بسرعة. في هذه اللحظات، يتذكر نصيحة فاطمة بانو التي قالت: «طهر قلبك ... ثم اتبعه.» (علوان، ٢٠١٦ : ١٩٤) يستنتج ابن عربي من تذكر هذه المقوله ما يلى: «يا الله! لو علمت فاطمة أن البحث عن وتد في أفريفية كلها أسهل من تطهير القلوب.» (المرجع نفسه، ١٩٥) هذه الجملة تدل على أن ابن عربي يؤمن بخطأ الإنسان ولا يعتبر نفسه معصوماً عن الخطأ أو الذنب. إنه لا يقع في الوهم، وهذا الفهم يجعله متواضعاً، أى أنه لا يرى نفسه أفضل من الآخرين ولا يحكم على الآخرين بــمهولة. إنه يعلم أنه دائماً معرض للزلل والسقوط في هاوية الفساد، ويسعى باستمرار لمراقبة سلوكه وقوله وفعله. من ناحية أخرى، يسعى دائماً لإصلاح حاله الداخلي، ويتبع بجدية ومثابرة مثالية تطوره الأخلاقي والروحي، ويبعد عن الذنوب. كما يلاحظ في الرواية، يقترب خطوة بخطوة من المراتب العرفانية العالية والمعرفة الإلهية، ويصل إلى درجة يصبح فيها قدوة للسالكين إلى الله.

مقاومة الانصهار الثقافي

الأشخاص الذين يحققون ذاتهم، لديهم طريقهم الخاص في التفكير، ولا يسعون إلى التوافق مع المجتمع والثقافة السائدة. إنهم يتمتعون بشجاعة كبيرة ولا يريدون التوافق مع الحشود ويقولون أو يفعلون شيئاً يتعارض مع آرائهم ورغباتهم، لمجرد الخوف من الفضيحة. مقاومة الانصهار الثقافي تعنى «مقاومة التماهي مع الجماعة وعدم الذوبان في اللوائح والعادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية.» (شاملو، ١٣٨٨ : ١٤١) في الواقع، يمكن القول إن هؤلاء الأشخاص «يدارون ويوجّهون بطبيعتهم الداخلية.» (كريبي، ١٣٧٨ : ١٦٤) إن الشخصية الرئيسية في رواية «موت صغير» تختبر تحقيق الذات وخصائصه المختلفة في مراحل مختلفة من حياته. لقد انضم إلى صفوف رجال الله منذ نعومة أظافره؛ لذلك، وقف في وجه الثقافة السائدة في عصره، وتجلى هذا الموقف في مجالين: الرياضات الفردية ومقاومة الإغراءات والعروض المالية والمناصب المختلفة. أحد هذه المواقف هو عندما يتصرف بخلاف سيرة والده. والد ابن عربي من رجال

البلاط ويعلم فى خدمة السلطة الحاكمة. عادة فى مثل هذه العائلات، يسعى الأب إلى أن يسلك أبناؤه هذا الطريق ويستفيدوا من السلطة ومزايادها. كان والد ابن عربى يرغب فى ذلك أيضاً، وأدخل ابن عربى إلى البلاط. دخل ابن عربى البلاط فى البداية وانشغل بشؤون البلاط؛ لكنه تدرجياً تراجع عن العمل فى البلاط وانشغل بتحصيل العلم. «رفعت ذكر أبي. أعرف ذلك. ولكنى خالفت دربه ونفرت من العمل فى بلاط الملوك». (علوان، ٢١٠٦: ١٥) يرى القرآن أن سبب معارضته بعض الناس لتعاليم الوحى هو اتباعهم لآبائهم فى اختيار الدين والعقيدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ آبَاءِنَا...﴾ (البقرة / ١٧٠) وهذا السبب، فإن ابن عربى، باعتباره شخصية محققة لذاتها، لا يسير على نهج أبيه ويظل وفياً للطريق الذى اختاره. مثال آخر على اختلاف ابن عربى عن والده فى أسلوب الحياة يرويه أحد أصدقائه والده. يأتى هذا الصديق العائلى ذات يوم إلى منزلهم ويعترض على والد ابن عربى لكونه فى البلاط وكيف تعلق بالدنيا؛ بينما هناك آخرة مقبلة ويجب أن يخشى عاقبة الأمور؟ ثم يقارن ابن عربى بوالده: «أدنى الشيخ رأسه لينظر فى عينى أبي و قال له بصوت أخفض قليلاً: أما لك فى ابنك هذا موعظة؟ شاب صغير فى شهوته قمع هواه وطرد شيطانه وعدل إلى الله تعالى ويصاحب أهل الله ...» (المرجع نفسه: ١٨)

إذن، بهذا التوضيح، يمكن فهم أن ابن عربى لم يتبعد طريقة أبيه، وقد بذل جهده لمقاومة ثقافته العائلية. بالطبع، كان هذا أحد سمات العرفاء المنشغلين بهموم الناس والمتمنين إلى الشعب على مر التاريخ. «تلبية احتياجات الناس لدى الحكم والأمراء كانت إحدى المهام التى كان العلماء والعرفاء يرون أنها تقع على عاتقهم، وكانوا دائمًا صوت المظلومين والاحتاجين فى القصور والبلاط. بالطبع، كانت المصالح الشخصية لبعض العلماء أهم من تحقيق العدالة للمحتاجين، وهذا السبب لجأوا إلى التملق وتبرير تصرفات الملوك والحكام. ابن عربى هو أحد عرفاء النوع الأول». (أبوزيد، ١٣٨٥: ١٤٦)

من الأمثلة الأخرى على مقاومة الانصهار الثقافى، عدم قبول آراء كبار العلماء فى عصره. فى أحد دروس ابن عربى، حيث كان تلميذاً، يقتبس أستاذه قوله قولاًً لابن رشد. كان ابن رشد يعتقد أن الخير هو ما يكرهه العقل، والشر هو ما يكرهه العقل. بعد سماع هذا

القول، يقول ابن عربي لنفسه: «وَيَحِه! فَأَيْنَ وَجِيبُ الْقَلْبِ وَكَشْفُ الرَّبِّ؟» (المراجع نفسه: ١٢٥) يؤمن الفلاسفة بالمنهج العقلي، بينما يؤمن العرفاء بالمنهج المستمد من الكشف والشهود القلبي. كان ابن رشد من العلماء المشهورين في عصره، وقلما كان أحد يخالفه في الرأي. يعبر ابن عربي بهذا النقد عن إيمانه بصحة المنهج العرفاني، ويسعى في حياته دائمًا إلى الكشف والشهود القلبي وتركية النفس، ويريد دائمًا الوصول إلى الحقيقة؛ لا مجرد معرفتها.

قبول الذات والآخرين والطبيعة

الشخص المُحق لذاته يعرف نفسه جيدًا، ويدرك سماته و نقاط قوته و ضعفه. يعبر عن نقاط قوته و يعززها، ويسعى لتعويضها بقبول نقاط ضعفه. كما يقرّ بحق الآخرين في نقاط ضعفهم. بقبوله هذه النقطة، يتفاعل مع الناس بتعاطف، ولا يسارع إلى رفضها. ابن عربي، بعد أن ينغمس في الماديات والملذات، ينظر إلى نفسه ويدرك أنه ابتعد عن مسار حياته الأصلي، وهو تطهير قلبه، ويصف نفسه على النحو التالي: «شعرت أنّي لو ثبت قلبي الذي أمرتني فاطمة بتطهيره. جالست الخليفة واعتنقت على طعام القصور. تزوجت مريم واعتنقت على لذة الجسد. تسلمت العطاء واعتنقت على امتلاء الجيب. لا عجب إذن أن يحيق بي هذا الضيق والكدر.» (علوان، ٢٠١٦: ١٧٨)

من علامات قبول الآخر، التغاضي عن بعض أخطائهم وعيوبهم. يظهر ابن عربي هذا القبول في تعامله مع شرب عمه للخمر في شهر رمضان أيضًا. فبعد أن يرى عمه يشرب الخمر في المتجر، يخرج مسرعًا من المتجر ويتظاهر بأنه لم يلاحظ شيئاً. «وصلت حانوته ودخلت دون أن أسلم لأجد عمي يشرب من جرة خفية وقد أولاًني ظهره. تراجعت هلعاً لشربته في وقت الصيام ولم يرني. ثم عدت وناديته من الخارج وكأنّي جئت لِتَوَى فَأَذْنَ لِي بِالدُّخُولِ.» (المراجع نفسه: ٨٤)

بعد أن يعتزل ابن عربي في المقبرة لفترة، يعود إلى المنزل. في هذا الوقت، يوجّه والده. ينتقد والده حاله، ويردّ ابن عربي عليه بأن الله قد نصّه وأرشّده. يسأل والده بتعجب: «ولِمَذَا يعظُكَ أنتَ مِنْ دُونِ الْعَالَمِينَ؟» فيجيب ابن عربي: «لأنّي ولّى من

أوليائه.» (علوان، ٢٠١٦: ١٥٤) تدل هذه الإجابة من ابن عربى على اعترافه بقدراته على بلوغ مقام الولاية، ويدافع عن نفسه بثقة كاملة أمام توبىخ والده.

الغفوية والبساطة والطبيعية

هذه السمة تجعل الشخص المُحق لذاته ينأى بنفسه عن أي ادعاء أو نفاق، ويظهر حقيقته. فهو لا يريد أن يظهر نفسه كشخص آخر بوضع قناع على وجهه الحقيقي. لديه علاقة جيدة بذاته الحقيقة، ولا يشعر بأى خوف من التعبير عنها. وفقاً لماسلو، «يمكن وصف جميع الأفراد المحقين لذواتهم بأنهم عفويون نسبياً في سلوكهم، وأكثر عفوية بكثير في حياتهم الداخلية وأفكارهم.» (ماسلو، ١٣٧٢، ٢٢١) سلوك هؤلاء الأفراد فطري وداخلي، ولا يتصرفون بطريقة نمطية أو قالبية. «سلوك المحقين لذواتهم مفتوح تماماً، طبيعي وواضح. لا يخفى المحقون لذواتهم مشاعرهم وعواطفهم عادةً ليكونوا شيئاً ليسوا عليه.» (كريبي، ١٣٧٤: ١٦) يتصرف ابن عربى في بعض المواقف ببساطة شديدة وطبيعية وبعيداً عن التكلف. أحد هذه المواقف هو عندما يبكي ابن عربى في صفة أمام الطلاب. إن سبب بكائه هو تذكره لحظة انفصاله عن فاطمة بانو بنت مثنى. هذا الانفصال حدث في طفولة ابن عربى، والآن بعد سنوات عديدة، يبكي في درس دون أن يشعر بالخجل من طلابه. «فكتت أذكريها بعد سنوات في درس من الدروس وحولى تلاميذى، فأبكي بينهم فجأة دون مقدمات...» (علوان ٢٠١٦: ٤٣) إنه يحترم مشاعره وعواطفه ويعبر عنها؛ دون أن يخجل من أحد أو يتاثر بوضعه ومكانته.

جودة الانعزال وال الحاجة إلى الخلوة

في بعض الأحيان، ولأسباب عده، يميل الشخص إلى الابتعاد عن رفقة الأصدقاء والزماء، إلخ، ويصبح متزلاً. توفر الخلوة فرصة للشخص المُحق لذاته لفحص نقاط قوته وضعفه، وتقدير المسار الذي اخذه، ودراسة طرق تحقيق أهدافه. «يسهل عليهم أن يكونوا منعزلين وهادئين ورصينين. ربما يكون هذا بسبب رغبتهما في الثقة في فهمهم الخاص لوقف ما.» (ماسلو، ١٣٧٢: ٢١٨) بين العرفاء، العزلة شائعة جداً، وفيها يمارسون العبادة، ومحاسبة الأعمال، والتفكير في الخلق، إلخ. يسعى العرفاء إلى

التحول إلى الإنسان الكامل؛ أو على الأقل الاقتراب من هذه المكانة. العزلة والانعزال يساعدان العارف على تحقيق هذا الهدف. «... وكلما توغل في داخله وقطع ارتباطه بالخارج أكثر، [كلما اقترب من مقام الإنسان الكامل].» (مطهرى، ١٣٨١: ١٧٥) لتحقيق «الاهتمام بالداخل وإهمال الخارج»، يمكن أن تكون العزلة خياراً مناسباً للعارف؛ لأنَّه يجد كل ما يحتاجه في داخله. يعبر الشاعر الإيراني حافظ الشيرازى عن هذا المعنى بقوله: «سالها دل طلب جام جم از ما می کرد / آنچه خود داشت ز بیگانه تمنا می کرد» («لسنوات طلب القلب كأس جم منا / ما كان يملكه هو، تمناه من الغريب») (حافظ، ١٣٧٦: ١٣٧) وكما يقول الشاعر الصوفى الشهير الآخر جلال الدين المولوى: «در خود بطلب هر آنچه خواهی که توئی» (اطلب كلَّ ما تريده في نفسك!) (مولوى، ١٣٧٤ ش، ٢: ١٤٢٦) في أجزاء كثيرة من هذه الرواية، يلجاً ابن عربى إلى الانعزال، ويرى أنه ضروري جداً له. يقول عن مدة عزلته: «تعلمت أنى بلغت المعزول الذى يليق بيتعتى قطبا بعد خمسين سنة على طريق الله المحفوف خلوة وسفرا وجوعاً ورياضة ومجاهدة.» (علوان ٢٠١٦: ٩) يبدو أن ابن عربى، باستمراره في العزلة، تمكَّن من أن يصبح قطب الصوفية. العزلة شرط أساسى لكي يصبح العارف قطبا. هذه العزلة تصل إلى حد النوم في القبور؛ بحيث لا يستطيع أحد أن يبحث عن ابن عربى. «ووجدت نفسي أخيراً في المقبرة، فدخلت وسلمت وجلت بين القبور فشعرت بسكينة. ثم لاحت قبراً خرباً قد صار أشبه بغاره صغيرة، فجلست فيه وبدأت أقرأ القرآن.» (المراجع نفسه: ١٥١)

الإبداع والابتكار

يساعد الإبداع والابتكار الشخص الذي يحقق ذاته على التعبير عن فرديته. إنَّه يقدم وجهات نظره ومشاعره وتجاربه الفريدة للآخرين. التعبير عن الفردية يساعد الفرد على ترسیخ هويته والشعور بقيمة أكبر. يمكنه من خلال ذلك حل المشكلات بطرق جديدة. يشعر الشخص المبدع بقيمة ويفتخِر بنفسه. يعتبر ابن عربى أحد أكثر الكتاب إنتاجاً في العالم الإسلامي. «تُظهر أعماله الباقيَة سيطرته الواسعة وإحاطته بجميع مجالات الفكر الصوفى في عصره، وقد اعتبر ابن عربى بحق أحد أكثر الشخصيات الأدبية والصوفية

والفلسفية إنتاجاً وتأثيراً في العالم الإسلامي.» (مير آخرى وشجاعى، ١٣٧٦ هـ ش: ١٨) في رسالة كتبها من دمشق عام ٦٢٢ هـ إلى كيخسرو الأول، ملك قونية، يعدد ٢٤٠ عنواناً من مؤلفاته. وقد قدر الشعراً عدداً مؤلفاته بحوالي ٤٠٠، وجامى بأكثر من ٥٠٠، وعثمان يحيى، ٨٤٨، وويليام تشيتىك بأكثر من ٩٠٠.» (ابن عربي، ١٣٨٦ هـ ش: ٣٥) في هذه الرواية، يشار من حين لآخر إلى اشغال ابن عربي بكتابه الشعر، وأكثر من ذلك، بكتابه الكتب. وقد أدت علاقته بنظام إلى تأليف قصائد، جاءت بعض أبياتها في الرواية. «ليت شعرى هل دروا أى قلب ملکوا.» (علوان، ٢٠١٦: ٣٢١) «وفؤادى لو درى أى شعب سلکوا.» (المراجع نفسه: ٣٢٢) في مكة، يلاحظ الشيخ زاهر أن ابن عربي قد أوقف دروسه. يسأل عن السبب. يحيى ابن عربي بأنه يؤلف كتاب "الفتوحات المكية" ويتحدث عن موضوعه: «عن جميع ما فتحه الله على من فنون المعارف في مكة. أسميه الفتح المكي.» (المراجع نفسه: ٣٢٨) إن وجود هذه الأعمال العلمية والأدبية جعل ابن عربي يتمتع بمكانة رفيعة ويفتح آفاقاً جديدة أمام الباحثين عن العلم والمعرفة.

التركيز على حل المشاكل

لدى الأشخاص الذين حققوا ذاتهم رسالة في الحياة ويعملون بجد لتحقيقها. يعده التركيز على حل المشاكل إحدى السمات المميزة لهم، وفقاً لأبراهام ماسلو. تعنى هذه الخاصية أنهم، بدلاً من التركيز بشكل رئيسي على مشاكلهم وهمومهم الشخصية والداخلية، يميلون إلى تركيز انتباهم على المشاكل والقضايا الخارجية، وخاصة القضايا الاجتماعية والفلسفية والعالمية. غالباً ما يرى هؤلاء الأشخاص أنفسهم جزءاً من كيان أكبر، ولديهم شعور برسالة أو هدف في الحياة. فهم لا يرون المشاكل فحسب، بل يشعرون أيضاً بمسؤولية حلها ويساركون بفعالية في إيجاد حلول لها. يقول ماسلو: «الأفراد الذين يحققون ذاتهم يميلون إلى التركيز على المشاكل أكثر من التركيز على الذات. بشكل عام، لا يهتمون كثيراً بأنفسهم. هؤلاء الأفراد لديهم رسالة في الحياة ولديهم واجب يقع على عاتقهم، لديهم مشكلة خارج ذاتهم ويشعرون بالمسؤولية

تجاهها.» (ماسلو، ١٣٧٢: ٢٢٣) مواجهة المشاكل والسعى لحلها يوفر فرصةً للتعلم والنمو والتنمية الشخصية. حل المشاكل ينبع معنى لحياة الفرد. وجود مشكلة يدفع الإنسان إلى عدم اعتبار الحياة بلا معنى، ويسعى بجدية وراء تلك المشكلة في حياته. الهم والمشكلة الأساسية لابن عربى في حياته كلها كانت الوصول إلى المحبوب والمشوق الحقيقي، أى الله. جميع الأنشطة التي يقوم بها في حياته؛ الرحلات وال العلاقات الاجتماعية والحضور أمام كبار العلماء والعرفاء والعزلة والانعزال إلخ، كلها في سبيل تحقيق هذا الهدف. ينتقد ابن عربى الفلسفة أمام الخليفة على النحو التالي: «يا أمير المؤمنين، إن الفلسفة هي محبة الحكمة. وليس كل من أحب محبوباً نال وصالة.» (علوان، ٢٠١٦: ٢٠١٦) يحدد ابن عربى والعرفاء بشكل عام هدفهم في الوصول إلى المشوق؛ وليس مجرد معرفته. «وعلى مثل هذه الحال التي يكون القلب فيها مفتوحاً على مهب الجهات الأربع أفضى الله على من علمه اللدنى معارج عقلية ما صعدتها من قبل، ومقامات روحانية ما بلغتها قط ...» (المراجع نفسه: ١٧٣-١٧٤) تظهر حياة ابن عربى بأكملها في هذه الرواية هذا السعي الدؤوب للوصول إلى الله.

النتيجة

أظهر تحليل شخصية ابن عربى بناءً على هرم ماسلو لاحتياجات أنه سعى منذ طفولته إلى تحقيق الذات. وقد وصل إلى تحقيق الذات من خلال تلبية الاحتياجات الأساسية. في هذه الرواية، ذُكرت أمثلة من حالات تلبية الاحتياجات الفسيولوجية والأمنية والاجتماعية واحتياجات التقدير. من أبرز جوانب تحقيق الذات لابن عربى هي مقاومته للانصهار الثقافي، والانعزال وال الحاجة إلى الخلوة، والتركيز على حل المشاكل. أدت مقاومة الانصهار الثقافي إلى امتناعه عن التواجد في بلاط الملوك وأصحاب السلطة، والابتعاد عن مصاحبة أرباب القدرة. كما أدت إلى عدم اتباع ابن عربى طريق التبعية والطاعة في مواجهة العلماء والوجهاء في عصره، بل وجد طريقه السمو بنفسه وسلكه. هذه المقاومة للانصهار الثقافي هي التي أدت به في نهاية حياته إلى الاستبعاد من الدوائر الدينية الرسمية، والعيش من خلال البستانة، وفي النهاية توفي

فى الغربة والعزلة.

الانعزال وال الحاجة إلى الخلوة هي طريقة استخدمها ابن عربى في جميع مراحل حياته. وقد استغل هذه الطريقة في أجزاء كثيرة من الرواية للحصول على معرفة جديدة، وتحسين حالته النفسية والروحية، واكتساب المزيد من القوة لمواصلة المسار. هذه العزلة وال الحاجة إلى الخلوة تُلاحظ بكثرة في حياة العديد من العرفاء، سواء في العالم الإسلامي أو خارجه؛ لذا، فإن ابن عربى ليس استثناءً من هذه القاعدة وقد استفاد منها إلى أقصى حد. حتى أنه في جزء من هذه الرواية، يذهب إلى المقبرة لتحقيق هذا الهدف المهم، ويواجهه رد فعل عنيف من والده.

التركيز على حل المشاكل هو جانب آخر من جوانب تحقيق الذات في شخصية ابن عربى. المشكلة التي سعى ابن عربى حلها طوال حياته هي الوصول إلى الله. فاطمة بانو بنت مثنى، التي دعته إلى تطهير قلبه، كانت تساعدته بالضبط على الوصول إلى الله. البحث عن الأقطاب الأربع المذكورين في الرواية، هو للوصول إلى الله. يمكن القول أن حياة ابن عربى هي مسار نحو الوصول إلى الله.

المصادر والمراجع

العربية:

القرآن الكريم.

ابن حيون، النعمان بن محمد بن المغربي. (١٣٨٥ هـ). دعائم الإسلام. قم: مؤسسة آل البيت (ع).

علوان، محمد حسن. (٢٠١٦). موت صغير. بيروت: دار الساقى.

الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٧٥ هـ). الكافي. طهران: أسوه.

مبروك، رشا محمد على. (٢٠١١). الحاجات النفسية في ضوء نظرية ماسلو (دراسة مقارنة بين الكفيف والمبصر). رسالة دكتوراه، المشرف: فوقيه حسن عبدالحميد رضوان وآمال العرباوي مهدي. جامعة بور سعيد.

محمد، سيد عبد الرحمن. (١٩٩٨). نظريات الشخصية. القاهرة: قباء.

الفارسية:

ابن عربى، محمد بن على. (١٣٨٦ هـ). فصوص الحكم. تقديم، ترجمة النص، شرح وتحليل: محمد على موحد وصمد موحد. طهران: كارنامه.

- أبو زيد، نصر حامد. (١٢٨٥ هـ). هكذا تكلم ابن عربي. ترجمة: إحسان موسوی خلخالی. طهران: نیلوفر.
- تشیتیک، ویلیام. (١٢٩٣ هـ). ابن عربی وریث الأنبیاء. ترجمة: هوشمند دهقان. طهران: پیام امروز.
- حافظ، شمس الدین محمد. (١٣٧٦ هـ). دیوان حافظ. تصحیح: هوشنگ ابتهاج. طهران: کارنامه.
- رایکمان، ریتشارد. (١٣٩٦ هـ). نظریات الشخصية. ترجمة: مهرداد فیروزبخت. طهران: ارسبران.
- سیف، علی اکبر. (١٣٩٠ هـ). علم النفس التربیی المحدث؛ علم نفس التعلم والتعلیم. طهران: دوران.
- شاملو، سعید. (١٣٨٨ هـ). مدارس ونظريات فی علم نفس الشخصية. الطبعة التاسعة. طهران: رشد.
- شولتز، دوان؛ سیدنی آلن شولتز. (١٣٨٩ هـ). نظریات الشخصية. ترجمة: یحیی سید محمدی. طهران: نشر ویرایش.
- فیست، جس؛ غریغوری جی فیست. (١٣٩٠ هـ). نظریات الشخصية. ترجمة: یحیی سید محمدی. طهران: روان.
- کربیی، یوسف. (١٣٧٤ هـ). علم نفس الشخصية. الطبعة السادسة. طهران: رشد.
- کنجی، ھمزه. (١٣٩١ هـ). علم النفس العام. طهران: سافالان.
- ماسلو، ابراهام. (١٣٧٢ هـ). آفاق اسمی للطبيعة البشرية. ترجمة: احمد رضوانی. مشهد: آستان قدس رضوی.
- _____ (١٣٦٩ هـ). الدافعیة والشخصیة. ترجمة: احمد رضوانی. مشهد: آستان قدس رضوی.
- _____ (١٣٦٧ هـ). سیکولوچیه الشخصية السالیمة. ترجمة: شیوا رویکریان. طهران: هدف.
- مطهری، مرتضی. (١٣٨١ هـ). الإنسان الكامل. طهران: صدرا.
- مولوی، جلال الدین، (١٣٧٤ هـ). دیوان شمس، طهران: منشورات راد.
- میرآخوری، قاسم وحیدر شجاعی. (١٣٧٦ هـ). قاموس التعبیرات العرفانیة لحیی الدین ابن عربی. طهران: جامی.
- میرصادقی، جمال؛ مهاجر، میمانت. (٢٠١١). عناصر المیال. الطبعة الخامسة. طهران: منشورات سخن.
- پیری، یحیی. (١٣٩٧ هـ). خداع السراب: بحث فی معرفة وتقییم ونقد التصوف. قم: فروغ فردا.